

في العلم والمعرفة والفرق بينهما

أ. د. مكي الحسني (*)

العلم: إدراك الشيء بحقيقته، أو إدراك صفاته. فيكون بالمعنى الأول مرادفاً للمعرفة، فيتعدى [فعله (عِلِمَ يَعْلَمُ)] بنفسه إلى مفعول به واحد، نحو قوله تعالى: ﴿لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. ونحو: علمتُ أمسٍ عمقَ ذلك الوادي.

ويقال: علم الشيء حاصلًا: أيقن به وصدّقه، نحو: علمتُ العلمَ نافعاً. ويتعدى بالباء فيكون فيه معنى الإحاطة، التي هي إدراك الشيء بكمالهِ ظاهراً وباطناً، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤].

ويكون بالمعنى الثاني متعدياً إلى مفعولين نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ عِلْمَ تَمُوهِنَ مُؤْمِنَتٍ﴾ [المتحنة: ١٠]. ويُضادُّ العلمَ الجهلُ.

قال عنترة:

هَلَّا سَأَلَتِ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ - إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً - بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
يُخْبِرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيعَةِ أَنْبِي - أَغْشَى الْوَعْيَ وَأَعْفُتُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

وقال زهير بن أبي سُلمى:

وأعلّم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم

• أما المعرفة فيقول أبو هلال العسكري (ت ~ ٤٠٠ هـ) ^(١):

«المعرفة أخص من العلم لأنها علمٌ بعين الشيء مفصلاً عما سواه. والعلم يكون مجملاً ومفصلاً. فكل معرفة علم، وليس كل علم معرفة ^(*).

وذلك أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره، ولفظ العلم لا يفيد إلا بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم. والشاهد قول أهل اللغة إن

العلم يتعدى إلى مفعولين ليس لك الاقتصار على أحدهما إلا أن يكون

بمعنى المعرفة كقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَنْعَلْمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾

[الأنفال: ٦٠] أي لا تعرفونهم. وإنما كان ذلك كذلك لأن لفظ العلم مبهم:

فإذا قلت: علمتُ زيداً فذكرته باسمه الذي يعرفه به المخاطب لم يُفد؛ فإذا

قلت (قائماً) أفدت، لأنك دلت بذلك على أنك علمتُ زيداً على صفةٍ جاز

ألا تعلمه عليها مع علمك به في الجملة. وإذا قلت: عرفتُ زيداً أفدت، لأنه

بمنزلة قولك علمته متميزاً من غيره، فاستغنى عن قولك متميزاً من غيره لما

في لفظ المعرفة من الدلالة على ذلك. والفرق بين العلم والمعرفة إنما يتبين

في الموضع الذي يكون فيه جملة مبهمة ^(٢)، ألا ترى أن قولك علمتُ أن

لزيد ولداً، وقولك عرفتُ أن لزيد ولداً يجريان مجرى واحداً».

لذا جاء في لسان العرب:

(حطاً)، والحطية: شاعر معروف (أي متميز من غيره!).

(١) الفروق في اللغة / ١٣ - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط ٥ - ١٩٨٣ ص ٧٢.

(*) ولهذا استعمل علماء اللغة (ومنهم الزمخشري) عبارة «أهل العلم والمعرفة» وصفاً لمن

جمع الحُشنيين.

(٢) في الأصل (غير مبهمة).

- (حنأ)، والحِئَاءُ: بالمدِّ والتشديد: معروف.
- (رطب)، الرُّطْبُ من التمر معروف.
- (دوم)، الدَّوْمُ شجر معروف.
- (نساء)، إنما الرِّبَا في التَّسِيئة هي البيع إلى أجلٍ معلوم.
- (سلف)، رُوِيَ عن النبيِّ عليه الصلاة والسلام أنه قال: من سلَّفَ فليُسلِفْ في كَيْلٍ معلوم ووزنٍ معلوم إلى أجلٍ معلوم.
- ويقال: متوازي الأضلاع: صنفٌ محدَّد معروف من المضلَّعات.
- وجاء في (تاج العروس) للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) نقلاً عن الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): العِلْمُ إدراك الشيء بحقيقته. وذلك ضربان: إدراك ذات الشيء والثاني الحكم على الشيء بوجود شيء هو له، أو نفي شيء هو منفي عنه. فالأول هو المتعدي إلى مفعول واحد نحو قوله تعالى: ﴿لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. والثاني إلى مفعولين نحو قوله: ﴿فَإِنَّ عِلْمَ تَمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [المتحنة: ١٠].
 - وجاء فيه نقلاً عن «البصائر»^(٣): «المعرفة: إدراك الشيء بتفكير وتدبُّر لأثره، وهي أخص من العلم. والمعرفة تتعلق بذات الشيء والعلم يتعلق بأحواله. والمعرفة تكون في الغالب لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإن أدركه قيل عرفه».
 - والمعرفة علمٌ لِعَيْنِ الشَّيْءِ مَفْصَلاً عَمَّا سِوَاهُ، بخلاف العلم فإنه قد يتعلق بالشيء مُجْمَلاً.
 - وجاء فيه نقلاً عن الراغب: «... ويقال فلان يَعْرِفُ الله ورسوله، ولا

(٣) «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» للفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ).

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة (طبع الجزء الأخير سنة ١٩٩٦).

يقال يعلم الله متعدياً إلى مفعول واحد، لما كان^(٤) معرفة البشر لله تعالى هو^(٥) تدبّر آثاره دون إدراك ذاته.

ويقال: الله يعلم كذا ولا يقال يعرف كذا لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر [عن الإحاطة، م ح] المتوصل إليه بتفكير.

فسبحان ربّ فوق كل مَظَنَّةٍ تعالى جلالاً أن يُحاط بذاته
إذا قال (إني) ذاك وحدة قُدسِه وإن قال (إنّا) ذاك حشدُ صفاته

والعارف هو المختص بمعرفة الله ومعرفة ملكوته وحُسن معاملته تعالى.
و ضدُّ المعرفة الإنكارُ، وضدُّ العلم الجهلُ.

• والمعروف: اسم المفعول من: عرف الشيءَ يعرفه معرفة وعرفاناً:
أدركه بحاسة من حواسّه أو بعقله.

والمعروف: اسم لكل فعلٍ يُعرف حُسنُه بالعقل أو الشرع وهو خلاف
المنكر. والمعروف: الصنعة يُسديها المرء إلى غيره.

قال تعالى: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

• والعُرف: ما تعارفه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم.
والعُرف: المعروف، هو خلاف النكر (الأمر المنكر).
قال الحطيئة:

من يفعل الخيرَ لا يعدمَ جَوازيه لا يذهبُ العُرفُ بين الله والناس
(الجوازي: جمع الجازية: الثواب).

ومن المتعارف المتداول بين الناس أن المعروف عُرفاً كالمشروط شرطاً!

(٤) لِمَا: (ما) مصدرية غير زمانية. ومعنى (لما كان): لكون المعرفة... (مغني
اللييب/٣٩٩).

(٥) يجوز (معرفة البشر لله تعالى هو/ هي تدبّر).

- ويقال: لَأَعْرِفَنَّ لَكَ مَا صَنَعْتَ: لأَجَازِيَنَّكَ بِهِ.
- قال تعالى: ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨].
- وقال: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].
- وقال: ﴿يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].
- وقال: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].
- وقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكِ﴾ [محمد: ١٩].
- وقال: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠].
- وقال: ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ [الحج: ٧٢]. أي تدرك المنكر وتميِّزه في وجوههم.
- فالمعرفة نوع مخصوص من العلم، يتوصَّل إليها بالتدبُّر والتفكُّر، ويغلب عليها التعلُّق بالذوات، وضدّها الإنكار.
- أما العلم فهو أعمُّ من المعرفة، ويغلب عليه التعلُّق بالصفات والأحوال، وضدّه الجهل.
- وأما علم الله فهو مُطلق ويحيط بأجزاء الأشياء، ويتعالى عن القصور أو التدبُّر والاجتهاد!
- قال الزمخشري في الكشَّاف، ٣/ ٣٣١: «قولك (فلان من العلماء) أبلغ من قولك (فلان عالم) لأنك تشهد له بكونه معدوداً في زمرتهم، ومعروفة مساهمته لهم في العلم».
- لم يقل (معلومة) بل (معروفة) لأن أعمال العالم هي كُتبه، فهي ذوات. فمثلاً كُتب الزمخشري: الكشاف وأساس البلاغة والمفصَّل في النحو... ذوات!
- وفيما يلي شواهد على استعمال العلم والمعرفة:
- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا

مَنْهُمْ لِيَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦]. الهاء في «يعرفونه» تعود على النبي ﷺ على رأي الزمخشري^(٦)، والنبي والأبناء ذوات فإدراكهما معرفة، أما الحقُّ هنا فإدراكه علم، لأنه من المعاني ويتحصَّل بالتدبر والاجتهاد.

• بعد الحوار الذي جرى قبيل حروب الردّة بين خليفة رسول الله ﷺ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال عمر: «فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفتُ أنه الحقُّ».

[الضمير في (أنه) يعود على «قرار القتال» الذي تدبَّر عمر أثره الخطير الشأن].

• قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، أي يعرفون نعم الله لأنهم منتفعون بها، ويُنكرونها بإنكار حقِّها وهو الشكر^(٧). فالنعمة ذات وإدراكها معرفة، وضدُّ المعرفة الإنكار كما في الآية.

• قال تعالى: ﴿فَدَفَّضْنَا الْأَيْدِيَّ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، أي يدركون أن ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكمال قدرته وعظمته، وبديع صنعته وعلمه وحكمته^(٨). فهنا لا يُقال: لقوم يعرفون، لأنه هنا إدراك لحقائق لم تكن في الذهن سابقاً.

• قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ [البقرة: ٦٥]، هنا العلم بمعنى المعرفة لتعلقه بالذوات، ولهذا تعدَّى إلى مفعول به واحد فقط.

• قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢]، أي خلَق آدم عليه السلام^(٩). ولا يُقال هنا: عرفتم، لأنه إدراك ذهني لهيئة ليس لها صورة محسوسة.

(٦) يُنظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي ٢: ١٦٩. دار القلم، دمشق.

(٧) يُنظر: التحرير والتنوير ١٤: ٢٤٢. لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.

(٨) يُنظر: فتح البيان في مقاصد القرآن ٤: ٢٠٣.

(٩) يُنظر: تفسير «الجامع لأحكام القرآن» للإمام القرطبي ١٧: ٢١٧. دار الكتب المصرية، ١٩٣٥.

• قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا^ط (*). لَنَّا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْعُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

• قال تعالى: ﴿قَالُوا نُزِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ [المائدة: ١١٣].

• قال تعالى: ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَكُمُ^ط﴾ [آل عمران: ١٦٧].

• إِعْلَمُ أَنْ (رُبَّ) لَهَا أَحْكَامٌ تَخْتَصُّ بِهَا (المالقي / ٩٠).

يقال:

- أنا أعلم أنك تتقن الإنكليزية، ولكن هل تعرف الإسبانية؟
- من المعلوم أن الخشب يطفو على سطح الماء (أي هذا غير مجهول).
- من المعروف عند العرب القدامى أن دِيَةَ القَتِيلِ قد تصل إلى / ١٠٠ / ناقة (أي كان ذلك من المتعارف بين الناس).
- أنا لا أعلم شيئاً عن هذا الأمر (أي أجهل كل شيء عنه) لكنني أعرف تفاصيل المشروع الذي حدثني عنه.

وجاء في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري:

- ومن لا يعرف الخطأ كان جديراً بالوقوع فيه. ص ٧٠.
- ولم يعرف الأصمعي وأبو عمرو معنى هذا البيت. ص ٣٣٥.
- [أي لم يميّز المعنى من غيره].
- وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: معروف زماننا مُنْكَرُ زمانٍ قد فات، ومُنْكَرُهُ معروفُ زمانٍ لم يأت. ص ٣٠٩.

(*) ومن المأثور: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل رجلاً عن شيء، فقال: الله أعلم، فقال عمر: لقد شقينا إن كُنَّا لا نعلم أن الله أعلم! إذا سئل أحدكم عن شيء لا يعلمه، فليقل: لا أعلم لي!

- واعلم أن قريبك من قُرب منك خيرُه. ص ٣٢٤.
- والله يعلم أنني أودُّك مودَّة خالصة. ص ٤٤٢.
- قال ابن عباس رضي الله عنه: «إذا قرأتُم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب».
- وقال الزمخشري في الكشَّاف / ٣ / ٣٣٥: قد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات.

شواهد من الشعر:

- قال عروة بن أذينة (ت ١٣٠هـ):
لقد علمتُ وما الإسراف من خُلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
- قال عمر بن أبي ربيعة:
قالتِ الكبرى أتعرِّفن الفتى قالتِ الوسطى نَعَم هذا عُمَر
- قال البحري:
قالتِ الصغرى وقد تيمَّتها قد عَرَفناه وهل يخفى القَمَر
- ورأيتُ معروفَ الكَرِيم يَزِينُهُ
قال أبو تمام:
لولا اشتعالُ النار فيما جاوَرَت ما كان يُعرَفُ طيبُ عَرَفِ العودِ
- وقال:
لو يَعْلَمُ الناسُ علمي بِالزَّمانِ وما عاثت يَداهُ لَمَّا رَبَّوا ولا وَلَدُوا
- قال المتنبي:
عَرَفْتُكَ وَالصُّفوفُ مُعَبَّاتٌ وَأَنْتَ بِغَيْرِ سَيفِكَ لا تَعِيحُ
- إذا يَسْجُو فَكَيْفَ إِذَا يَمِوجُ

يعيج بالسيف: يعتمد عليه.

• وقال:

وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ سَاعَةً رَأَى سَيْفَهُ فِي كَفِّهِ فَتَشَهَّدَا

• وقال:

وَنَذِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَبُضَّادَهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ

نذيمهم: نعييهم ونذمهم.

• قال بشار بن برد:

أَلَا أَيُّهَا السَّائِلِي جَاهِدَا لِيَعْرِفْنِي، أَنَا أَنْفُ الْكَرَمِ (أي منتهاه)

• قال الشاعر:

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَمْرُكَ اللَّهُ أَنْبِي كَرِيمٌ عَلَيَّ حِينَ الْكَرَامِ قَلِيلٌ؟

• قال الشاعر:

إِذَا كَانَ فِي غَيْرِ الصَّلَاحِ رِضَاؤُهَا لَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْفِتَاةِ وَعِلْمِهَا

• قال الشاعر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِفْ لِنَفْسِكَ حَقَّهَا هَوَانًا بِهَا، كَانَتْ عَلَى النَّاسِ أَهْوَانَا

* * *